هوامش

تنتشر دمى الدبّ الضخمة في أحد أحياء العاصمة الفرنسية باريس، التي تعاني كما بقية العالم من فيروس كورونا الجديد، وما يرافقه من قيود وإجراءات إقفال، فتعيد إلى الحيّ بعض الحياة

«يعمل» في المكان (العربي الجديد)

دببة باريس

محاولات لإعادة البسمة إلى السكان

باريس ـ **محمود الحاج**

الدببة أكثر من الناس، عصرَ هذا اليوم القائظ، في إحدى الصالات السينمائية، في حي ليه غوبلان جنوبي باريس. سيبدأ عرض فيلم «ديغول» لغابريال لوبومان، بعد دقائق، وبالرغم من دخول شخصين إلى قاعة العرض في اللحظة الأخيرة، ما زالت دمى الدب الضخمة أكثر عدداً من البشر بين الحضور.

صحيح أنّ دببة القماش المحشوّة ليست أكبر عدداً من الناس في الخارج، في شوارع ليه غوبلان ومحاله، لكنّها موجودة في كلّ مكان من الحيّ تقريباً: في المطاعم والمقاهي وفي أكشاك بيع الصحف ومتاجر النبيذ والملابس. في مقهاه، الذي يطل على جادة ليه غوبلان، يستضيف رومان دبّين رمليّي اللون، شبيهين بكلّ الدببة الموزعة في الحيّ. يبدو الأول وقد غفا جالساً إلى طاولة عليها صحيفة في بهو المقهى، في حين يستلقي الثاني في أرجوحة شبكية معلقة فوق رؤوس الزبائن قرب المدخل.

«يأتي كثير من الزبائن، وحتى من المارة، ليسألوني عن هذه الدببة. في الواقع، هي هنا لهذا السبب بالذات: لخلق رابط بين السكّان، لكي يتحدثوا إلى بعضهم. ليس ثمة سبب آخر». يصمت رومان ثواني قليلة وهو يجفف كؤوس النبيذ والماء وفناجين القهوة، ثم يعود ليضيف: «بعد الخروج من العزل، صار لبعض هذه الدببة مهمة إضافية: تذكير الباريسيين بضرورة الحفاظ على مسافة بين بعضهم لتجنب العدوى. استخدمها البعض بشكل فكاهي لهذا الغرض، وحتى نحن، هنا في المقهى، استخدمناها، وأجلسناها على بعض الكراسي. لكنّ الدببة كانت هنا قبل كورونا، وستبقى هنا بعده».

منذ أشهر باتت رؤية هذه الدمى الضخمة مألوفة لقسم من الباريسيين. لقد صارت موضوعاً يُعرف به هذا الحيّ الهادئ، الواقع بين الحي الآسيوي، في أقصى الجنوب، والحي اللاتيني، مع جامعاته ومقاهيه ومكتباته المملوءة، وسط العاصمة الفرنسية. عندما نسأل رومان عن أصل الفكرة، وعن كيفية اقتنائه الدببن، يحدّثنا فوراً عن فيليب، المسمى، بين سكّان الحيّ، بـ«بابا الدببة»: «رأيت جيراني من أصحاب المطاعم والمحال يقتنون دببة كهذه، فأصبت بالغيرة. قالوا لي إنّ عليّ أن أتقدم بطلب إلى فيليب لكي أحصل على الدببة التي أريد، وفعلت. هو يهتم بكلّ شيء: يقتني الدببة ويعيرنا إياها لمدة معينة، ثم يعود ليتسلمها ويعطيها لأشخاص آخرين».

يملك فيليب مكتبة لبيع الصحف والمجلات بشكل رئيسي، بالقرب من مترو ليه غوبلان. أمام واجهة محله، ثمة طاولتان يجلس إليهما ثلاثة دببة لا يثيرون، كما يبدو، اهتمام الزبائن الذين لا يتوقفون أمامها قبل دخولهم المكتبة. يقول لـ«العربي الجديد»: «بدأت القصة قبل عامين، نهاية 2018. وضعنا دببة في أماكن مختلفة من الحيّ لكي يبتسم الناس، ولنعيد الحياة إلى الشوارع. منذ ذلك الوقت، صار الجيران وأصحاب المحلات يعرفون بعضهم أكثر، وصار الناس يتبادلون الحديث بفضل هذه الدببة. حتى المارة، باتوا يتوقفون للاستفسار عن الموضوع. هذا كلّ ما نريده: أن يتكلم الناس إلى بعضهم». ويعطي مثالاً: «ثمة بائع شوكولا، قريب من هنا، لم يكن أحد يعرف بوجوده بالرغم من أنّ متجره مفتوح منذ أكثر من عشر سنوات. صار الجميع يعرفه اليوم بعد استضافته الدببة. حتى السائحون، بات البعض منهم يأتون لزيارة حيّنا الذي لا يعدّ من الأحياء الباريسية التي تستقطبهم عادةً».

يتلقى فيليب طلبات من يرغبون باستعارة دببة عبر حساب على «فيسبوك» يحمل اسم «دببة ليه غوبلان»: «أعير الدببة لمدة 48 ساعة، بشكل عام، للأشخاص الذين يسجلون على قائمة الراغبين. أتصل بالمسجّلين أولاً بأول، وأسألهم إن كانوا يريدون دباً أو دبةً أو دبدوباً عابراً للجنس. بعد الاتفاق، يأتون لاصطحاب الدببة كي تعيش يومين في حياتهم وكي ترافقهم في مشاويرهم أو في أيّ شيء يرغبونه. من غير الوارد والمسموح أبداً أن يُترك دبٌ في السيارة وحيداً، مثلاً، أو أن يُهمل». يتحدث فيليب عن الدببة وكأنّها تملك حياتها واستقلاليتها وأحاسيسها الخاصة بها: «هذه الدببة الموجودة أمام المكتبة عادت مساء أمس من مغامرة منهكة قامت بها في شمال باريس. ستنعم اليوم بالراحة وبحمام بخار دافئ قبل أن تنطلق غداً إلى مغامرة جديدة».

يخرج فيليب هاتفه المحمول من جيبه ليرينا صوراً للدببة «التي تتجول في كثير من المدن خارج باريس» إذ «ثمة من وصل منها إلى نيويورك وإلى المغرب والجزائر، وثمة بالتأكيد من سيصل منها إلى بيروت». يضيف: «هذا الذي سافر إلى نيويورك، لم يوضع في عنبر الحقائب، بل كان له مقعده، مثله مثل أي مسافر».

وفي ما إذا كان ثمة بعد سياسي، يقول إنّ الدببة لا تمارس السياسة بشكل مباشر، لكنّها تساهم في وضع بعض المسائل الاجتماعية على طاولة النقاش: «كان أحد الدببة يريد الترشّح للانتخابات البلدية الأخيرة، لكنّه تأخر في تسليم قائمته الانتخابية»، يعلق ساخراً.

باختصار

يبدو الأول وقد غفا جالساً إلى طاولة عليها صحيفة في بهو المقهى، في حين يستلقي الثاني في أرجوحة شبكية معلقة فوق رؤوس الزبائن قرب المدخل.

■■■

عادت مساء أمس من مغامرة منهكة قامت بها في شمال باريس. ستنعم اليوم بالراحة وبحمام بخار دافئ قبل أن تنطلق غداً إلى مغامرة جديدة.

■■■

كان أحد الدببة يريد الترشّح للانتخابات البلدية الأخيرة، لكنّه تأخر في تسليم قائمته الانتخابية.

وأخيراً

أُسَر في مواجهة الطوفان

سعدية مفرح

تبقى حكايات الناس الحقيقية خير واعظ للنفوس ومفسّر للأحداث. ولذلك أعود إلى حكاياتي الشخصية أحياناً، لتفسير بعض ما يجري حولي. ومنها مثلاً حكايات مشاهير الناس التي طغت على يومياتنا أخيراً، ما بين مصدّق ومكذّب ومُبالغ ومهوّن. وفي كل حالةٍ تطلّ الحكايات الشخصية برأسها لتفسّر وتعظ.

في ظل ما يثار هذه الأيام عن مشاهير التواصل الاجتماعي في دول الخليج، من سلوكياتٍ مجرّمة على الصعد، الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، تذكّرت شكوى زميلة، قبل سنوات قليلة، مما طرأ على ابنتها المراهقة، ذات الوجه الصبوح والأناقة اللافتة، من تصرّفات جديدة وغريبة. قالت لي الأم يومها إن ابنتها التي كانت في مرحلة الثانوية العامة أهملت دراستها لصالح هوايتها في وضع مساحيق التجميل على وجهها، ووجوه شقيقاتها الصغيرات وصديقاتها أيضاً. وإن البنت أصبحت موهوبة فعلاً في فنّ وضع المساحيق التجميلية، إلى درجة أنها أصبحت تتلقى عروضاً من صاحبات محلات التجميل للعمل فيها، وهي في السابعة عشرة من عمرها.

في تلك الأثناء، لم أكن قد سمعت بظاهرة «الفاشنيستات»، كما أصبحت تسمّى مدونات الموضة والتجميل ومشاهير التواصل الاجتماعي. ولذلك، استغربت من حجم القلق الذي كانت تشعر به زميلتي الأم، ودعوتها إلى أن تسمح لابنتها بممارسة هواية تحبها ما دامت في حدود المعقول، ولن تؤثر بدراستها، خصوصاً أنها في السنة الأخيرة من سنوات المدرسة. لكن كلامي لم يكن ليخفّف من قلق الأم التي فقدت السيطرة على تصرّفات ابنتها شيئاً فشيئاً لاحقاً. وعندما أتت بمجموع درجات في نهاية السنة لا يؤهلها لدخول الجامعة، كما هو مخطط لها، هوّنت الفتاة الطموح من الأمر، معلنة لوالدتها ولوالدها أيضاً أنها ستصبح «فاشنيستا»، وأنها ستغرقهم عندها بالأموال، كما لم يحلمان من قبل.

لا أعرف كيف انتهى الأمر بزميلتي وابنتها، بعد أن اختفت من حياتي، بسبب تركها المجال الصحافي كله، ولكنني تذكّرتها وتذكّرت حكايتها مع ابنتها هذه الأيام، بعد أن تواترت أخبار المشاهير والفاشنيستات وعلاقتهم بجرائم غسل الأموال، على الرغم من أنها علاقة لم تتأكّد قضائياً بعد، فهل أصبحت تلك الفتاة من هؤلاء الذين أسهموا، وبسرعة شديدة وانقلابية، في تغيير سلوكيات كثيرة في الجيل الجديد فعلاً؟ هل غرقت زميلتي القديمة وعائلتها الكريمة بالأموال، كما وعدتها ابنتها، ما اضطرها إلى السكوت ونسيان الصداقات والزمالات القديمة؟ أم غرقت بهمومها التي كنت لا أفهم أسبابها والمبالغة فيها، حتى تعرّفت لاحقاً بهذا العالم الذي يموج بمشاهير لا يفعلون شيئاً حقيقياً سوى إقناع الناس، وخصوصاً الشباب والشابات، بنمط استهلاكي مبالغ فيه عبر شراء سلع وكماليات يعلنون عنها، ويصوّرون الحياة ناقصةً من دونها؟

> وجدت أسر خليجية كثيرة نفسها تواجه طوفاناً عاتياً من المفاهيم التي قلبت ما اتفقنا عليه من سلوكيات

لا أدري بالضبط. لست متأكّدة مما يجري، فالقضايا طور التحقيق، والأخبار متواترة ومتناقضة أحياناً. وربما ليس من الحكمة الوصول إلى نتيجةٍ نهائيةٍ في هذا الشأن قبل أن تضع المحكمة كلمتها، لكنني أصبحت أتفرّس في وجوه هؤلاء الفاشنيستات، بحثاً عن ملامح شبهٍ تعيد إليّ وجه الزميلة القديمة، ليس على سبيل الفضول وحسب، بل أيضاً لتكون مدخلي في فهم هذه الظاهرة، وخصوصاً فهم ما أحدثته على الصعيد الأخلاقي، في أسر خليجية كثيرة وجدت نفسها تواجه طوفاناً عاتياً من المفاهيم التي قلبت ما اتفقنا عليه من سلوكيات. ولا تكاد أسرةٌ تنجو من تبعات هذا الطوفان الذي وجد الآباء والأمهات أنفسهم عاجزين عن مواجهته، ومعالجة آثاره المدمّرة على أبنائهم، وربما لهذا انخرط كثيرون منهم في تجنب مواجهته، والاستفادة الآنية من معطياته المادّية.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**